[251] وسننهم وأحداثهم، وعادته العامة، ومتى فعل شاقوه وخالفوه وتبرؤا منه وخذلوه وتفرقوا عن حقه، وإن أخذ ببدعهم وأقر بها وزينها ودان بها أحبته وشرفته وفضلته. وا لو ناديت في عسكري هذا بالحق الذي أنزل ا على نبيه وأظهرته ودعوت إليه وشرحته وفسرته - على ما سمعت من نبي ا صلى ا عليه وآله فيه - ما بقي فيه إلا أقله وأذله وأرذله ولا ستوحشوا منه ولتفرقوا عني. ولو لا ما عاهد رسول ا صلى ا عليه وآله إلي وسمعته منه وتقدم إلي فيه لفعلت، ولكن رسول ا صلى ا عليه وآله قد قال: (يا أخي، كل ما اضطر إليه العبد فقد أحله ا له وأباحه إياه)، وسمعته يقول: (إن التقية من دين ا، ولا دين لمن لا تقية له). ثم أقبل عليه السلام علي فقال: أدفعهم بالراح دفعا عني ثلثان من حي وثلث مني فإن عوضني ربي فأعذرني ابتلاء أمير المؤمنين عليه السلام بأخابث الناس وقال علي عليه السلام للحكمين - حين بعثهما -: (أحكما بكتاب ا وسنة نبيه وإن كان فيهما حز حلقي، فإنه من قادها إلى هؤلاء فإن نيتهم أخبثت). فقال له رجل من الأنصار: ما هذا الانتشار الذي بلغني عنك ؟ ما كان أحد من الامة أضبط للأمر منك، فما هذا الاختلاف والانتشار ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنا صاحبك الذي تعرف، إلا أني قد بليت بأخابث من خلق ا، أريدهم على الأمر فيأبون، فإن تابعتهم على ما يريدون تفرقوا عني